# عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 97 / 1 تموز 2017

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

جبل الزاوية – إدلب
خاص عين المدينة

# عيد نسبي

فقد السوريون بهجة العيد منذ سنوات عديدة. ولكنه حمل هذه المرة، بالنسبة إلى المقيمين في تركيا، حراكاً واسعاً للمسافرين إلى سورية للقاء أحبتهم وقضاء أسابيع بين أهاليهم وفي بلداتهم. وقد أشاعت حركة السفر هذه جواً من الحبور حتى بين من لم يغادروا، لأنها عنت أن البلاد قريبة ومتاحة رغم كل شيء.

استمتعنا بقصص المعبر وزحامه، ثم تنشق هواء الوطن من جديد، والوصول إلى منزل الأهل، والهدوء النسبي في المناطق المحررة في الشمال، ومعالم الفرحة هنا وهناك رغم الخراب.

«ونحن نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا».

ولم تنفجر الثورة إلا من أجل الحرية والكرامة والعدالة، ومن أجل حياة أفضل. ولكن خصمنا المعتوه في دمشق أعلن الترحيب بـ"المعركة" بعد أسبوعين فقط من انطلاق مظاهراتنا السلمية، وهو ما يزال يفعله حتى الآن وبصورة متصاعدة، من الرصاص وحتى الصواريخ الباليستية، مروراً بالكيماوي. الأمر الذي جعل استعادة الحقوق ومحاسبة المجرمين شرطاً مسبقاً على حلول أي سلام واستئناف أي حياة طبيعية. لا نخرج في هذا عن سنن البشر وعن مألوف شعوب الأرض. غير أن المدة التي طالت والثمن الهائل الذي ما زلنا ندفعه، في مقابل معسكر من العدوان من روسيا إلى إيران، كل ذلك أسهم في تشويش البوصلة ونخر الهمة. ولكن لا طريق لنا إلا إكمال ما بدأناه مهما تعقد المشهد، فهو ما ينسجم مع مقتضيات الحياة التي نسعى إلى أن تكون كريمة.

في أنحاء أخرى من البلاد تعتدي الطائرات الحربية وتلعلع الانفجارات ويرتفع العويل. في درعا التي انتفضت بعد خمود وهي تذيق قوات الأسد الموت يومياً، وفي أطراف دمشق وغوطتها، وفي الرقة التي أدخلتها داعش في المزاد الدموي للحرب على الإرهاب، وفي دير الزور التي ربما صارت في عين حرب الأمم.

وهكذا نكتشف بسرعة أن فرحنا هش وسلامنا عارض، وأن رحلتنا إلى بيوت أهالينا في البلاد مؤقتة، وأن لا سبيل إلى الاستقرار سوى بانطلاق سورية جديدة على أسس خالية من التسلط والعدوان، مهما طال الزمن.


4-3 أمهات العيد

5 العيد في إدلب، فرحة بنكهة الألم

7 في دير الزور، حيث يحارب التحالف داعش بقتل الأبرياء

9-8 لواء القدس عصابة «مشلّحين» ومرتزقة وليس فصيلاً فلسطينياً

11-10 الكوسوفوي لافدريم مهاجري أكثر الدواعش قتلاً للسوريين

15-12 معدان.. من البعث إلى الثورة إلى داعش (ملف)

16 مات مصطفى طلاس

17 لعنة السوريين

معبر باب السلامة - خاص عين المدينة

# أمهات العيد

مصطفى أبو شمس

لا أحد يجيد العيد كالأمهات. وحدهن يعرفن التوابل التي توضع للكعك، وكيف يخبئن طحين المعمول، ويخفين في التبن جوزاً أخضر لتلك المناسبة، و«وقدة» قش لخبز التنور. يرسمن ابتساماتهن بسرعة ليحملن حزنك. لا يمتزج بكاؤهن بالحرقة وليس له صوت العويل. وأيديهن، التي امتلأت شقوقها بدهن القطن، تنسحب بسرعة حين تركع على ركبتيك لتقبيلها، لتضمك وتربت على كتفك.

هكذا تستقبل الأمهات أولادهن العائدين إلى الوطن، الوطن الذي تحول إلى خيمة نزوح أو كرفانة في مخيم أو بيت يُخسّرك كل نقودك كل شهر، الوطن الذي لا تعلّق الأمهات الأمنيات على جدرانه على شكل «مسارب كعك مالح بالعصفر»، ولا تغطينها بالستائر البيضاء التي طرزت عليها صورة خيل متقابلة وعرق أخضر والكثير من البياض؛ ولكنهن تكتفين بوضع صور أبنائهن من الشهداء والمعتقلين والمهاجرين والمنفيين. لا أحد كالأمهات يجيد انتظار اللاشيء.

أمام بيتنا القديم في جبل الزاوية كانت أمي تنتظر، واضعة راحة يدها تحت ذقنها في عادة قديمة ورثتها كل الأمهات في سوريا. هي، وأمهاتٌ جاراتها، أدمنّ الجلوس في فسحة البيت، يحملن مسابحهن «المية وحبة» ويبدأن تسبيحهن كل يوم. قالت لي أمي إن «الورد» كان دائماً على نيّة أطفالهن. لم تعد عجائز سوريا تتذكرن أوجاعهن، وأمراض الضغط والسكر وتآكل الغضروف وديسك الظهر الذي حنى ظهورهن. تجاهلن الدواء والدعاء، واكتفين بالذاكرة.

حين وصلت وانحنيت لتقبيل يدها كان الوقت قد قارب العصر. ضمت رأسي براحتيها، قبلت وجهها، وأدخلتني إلى حيث رائحة الحبق. على الدرج الإسمنتي القديم كانت صحون الكعك تأخذ مكانها بالقرب من نباتاتها، وعليها رشة السكر الأبيض.

❖ ❖ ❖

كان المعبر مزدحماً. احتل آلاف الأشخاص الأرصفة وتشبثوا بأماكنهم منذ ساعات المساء ليقضوا ليلتهم بانتظار دورهم. اجتمعت دوائر منهم خلف بعضها، يحملون حقائبهم وأطفالهم وخوفهم الذي بدأ يتسرب في المكان. أسئلة كثيرة تدور. نحن السوريين نجيد التعارف بسرعة، وننفض قلوبنا أمام المارة. أكثر الأحاديث عن الخوف على طريق العودة، وإن كانت تركيا ستقبل بعودتنا أم أن المعبر سيغلق لأمر ما. كان بعضهم خائفاً من انتهاء الهدنة الهشة وعودة الطائرات للقصف. آخرون كانوا يمسحون ما على أجهزتهم من صور أو مقاطع صوتية حذراً من المرور على الحواجز. أحدهم كان يسأل، لا على سبيل النكتة فملامحه الجادة كانت توحي بصدقه: «أنا حلقت دقني، معقول يعملولي مشكلة؟». صفعتنا امرأة، في الدائرة التي اتسعت، حين سألتنا إن كنا ما نزال نتذكر الطريق إلى بيوتنا ووجوه أهالينا.

كان الناس يتبادلون أوراق الإجازات ليتأكدوا من أهميتها، والتي كانت أشبه بصكوك عودة مبكرة كان الجميع يحملها؛ هذا مدرّس من مدرسته وعليه الالتحاق خلال أيام، وآخر من رب عمله. وضعت يدي في جيبي لأطمئن أنا أيضاً على الورقة التي تحدد نهاية إجازتي في العاشر من تموز. ارتحت لفكرة وجودها معي، لأعاود عادتي في مراقبة الوجوه.

ساعات مرت وحجّاج الوطن في تزايد، راجلين بعد أن منعت الحكومة التركية السيارات من الاقتراب لنحو كيلومترين تجنباً للزحام وللحوادث. يصلون، يراقبون الأعداد، يصفّرون، بعضهم يطرق يداً بيد تعبيراً عن حجم المشكلة، ثم يستسلمون لدائرة أخرى من الانتظار.

حين فُتح الباب في السابعة صباحاً، للدخول عبر ممر طويل إلى الساحة الأخرى الملاصقة لباب المعبر، تناثرت الذكريات والخوف والتعارف على الأرض، وبدأت رحلة «دبر حالك» في «التدافش» للوصول إلى الطرف المقابل. حقائب تصطك بالإسفلت فيقشعر بدنك لصوتها، ونساء تصرخ، وشباب يتجاوزن أهاليهم. «خلال سنوات الثورة رأينا القيامة مرات عديدة»؛ قلت في نفسي وأنا أحمل حقيبتي لأقف في الممر الطويل. لم يعد يوم القيامة مشهداً متخيلاً لنا نحن الذين نزحنا مرات عديدة وهُجّرنا من بيوتنا، رأيناه في مدينتي حلب وفي المعابر وفي الباصات الخضر وفي رحلات «البلم» إلى أوروبا وفي طرق التهريب إلى تركيا. قيامات كثيرة كانت تعيد نفسها أمامي. المميز هذه المرة أنك لم تعد تفكر في نهاية الطريق، كل ما يهمك هو الوصول إلى الضفة الأخرى، إلى «الجنة» إن صح التعبير.

حين وصلت إلى باب المعبر كانت الساعة قد قاربت العاشرة،

والشمس قد استقرت فوق رؤوسنا تماماً، فلا ظلال على الأرض. الشباب أشرعوا سجائرهم، والنساء تضم صغارها، والعجائز يجلسون القرفصاء على حقائبهم ليستظلوا بقامات ذويهم. كان الأمر في المعبر سهلاً إلى درجة لا تصدق، في ساعة واحدة قطعت الجانب التركي لأدخل هواء سوريا. في الصالة المعدة لاستقبالنا كان الجميع يرحب بالقادمين، وعلى الرغم من أننا في رمضان كان هناك من يوزع الماء البارد. بعد أن قطعت وصل الدخول في الجانب التركي أعطيته للموظف السوري مرفقاً إياه بالورقة التي تحدد نهاية إجازتي. نظر في الورقة ثم في وجهي وأخبرني أن لا مجال للعودة قبل شهرين، فكل الأدوار قبل ذلك قد ملئت. حاولت معه بشتى الوسائل ولكنه لم يستجب، وطلب مني أن أنظر في دفتر الدور ثم أن أفسح المجال لمن هم ورائي. كاد حجم الصدمة يقعدني. كثيرون بدأوا بالنحيب واللطم والحديث عن فقدان أعمالهم في تركيا وعن عائلاتهم التي تركوها في الجانب الآخر. أحد العمال الذين يحملون الحقائب قال بصوت عال وهو يمر بجانبنا: «ما عاد استحملتوا شهرين بالبلد!».

صارت لكل منا حياة في مكان آخر، عليه أن يدافع عنها بأظافره. صار لكل منا وطن بديل وبيت بديل وأماكن بديلة وحتى عائلات بديلة. أبو أحمد، وهو رجل خمسيني من الأتارب رافقني طيلة الطريق، كان يضحك. وحين نظرت إليه قال: «أنا رجعت لهون، ما عاد أرجع لتركيا». مر من أمام الموظف دون أن يأخذ دوراً للعودة، وحين طلبت منه أن يفعل قال: «ما بدي تسوّل لي نفسي الرجعة».

❖ ❖ ❖

كانت تحضيرات العيد في القرية مختلفة عن العيد السابق. بدأ الناس يشعرون بالأمان نوعاً ما، فالطيران لم يزر قريتي منذ أشهر. العائدون الكثر من تركيا لقضاء إجازة العيد أضفوا جواً من المحبة وحركة في الأسواق، فعادت إلى الساحة محلات الألبسة و«بسطات الشوكولا والكراميلا والتخليطة»، وفي منتصفها نصبت ثلاث مراجيح. حال معظم القرى التي مررت بها كان يشبه حال قريتي، مظاهر العيد منتشرة والأسواق مزدحمة. بدأ الناس يرتكبون الحياة رغماً عنهم على جدران البيوت المهدمة. صارت الأصوات تعلو بعد أن استسلمت للصمت لسنوات كثيرة. كل شيء يشي بالعيد إلا الفرح، وحده الغائب رغم ما يدور من صخب.

بدأ انقسام واضح يظهر في البيئة الاجتماعية هنا. فالأسئلة الكثيرة التي كانت تطرح علينا، عن الحياة والعمل واللغة، كانت مجاملة لا تتجاوز الدقائق للدخول في أحاديث كثيرة عن المستقبل والتقسيم والاقتتال والدور العربي والتركي. الحديث عن الثورة حاضر بشدة، والجميع في حالة جدال؛ أهل القرية والشباب الثائرون الذين يحملون أسلحتهم حتى في زيارات المعايدة، لتذكيرنا نحن النازحين بتخلينا عن الوطن، والعائدون الذين كانوا يمضون معظم وقتهم على صفحات التواصل الاجتماعي منتقدين المقاتلين والخلافات بين الفصائل، ليثبتوا لأنفسهم أن سفرهم كان خياراً صائباً. في حين اقتصرت أسئلة شباب القرية الحالمين بالدخول إلى تركيا عن الطرق وكلفة المهرّب وطبيعة العمل والحياة، أما الشيوخ المتشبثون بأرضهم فحمدوا الله رغم الظروف القاسية، والأمهات منقسمات بين رغبتهن في بقاء أبنائهن وبين إرسالهم بعيداً خوفاً من موت جديد يُعلّق على الجدران.

في اليوم الأول للعيد كانت مقبرة القرية، والتي امتدت حتى كادت تلتصق بالبيوت، هي المكان الأكثر ازدحاماً. لم يكن هناك بيت إلا ورافقه الفقدان والبكاء في هذه الساعات الأولى من الصباح. جلست الأمهات على أطراف قبور أولادهن، لم يحملن كعادتهن حبات الملبس لتوزيعها على أرواح أمواتهن، اكتفين بملامسة القبور اليابسة التي غابت شواهدها، قلوبهن تدلهن على الطريق في الوقت الذي تهنا فيه كلنا.

عدت إلى أمي وكان المشهد قد تغير. فالفرح المغشوش تلاشت ملامحه، صدى الخوف والقذائف والهرولة والفقر ملأ الشوارع، البيوت شاخت، صور الشهداء والمعتقلين ملأت صدور البيوت، وأطفالهم في العيد غصة كل عائلة. على مصطبة البيت جلست ألتقط أنفاسي. انتزعت سيجارة. بللتها بريقي وبدأت أنفث دخاني باحثاً عن مكان لم يسكنه الدمار. اقتربت أمي من وجهي لتعيدني إلى الحياة مع رائحة قهوتها.

من جبل الزاوية - خاص

# العيد في مدينة إدلب
## فرحة بنكهة الألم

مريم أحمد
مدينة إدلب - خاص عين المدينة

في هذا العام حمل عيد الفطر لسكان مدينة إدلب شيئاً من البهجة وإن كانت ممزوجة بالألم، فلأول مرة منذ سنوات يمارسون طقوساً اعتادوها من قبل. إذ ما إن طبّق اتفاق التهدئة الذي أبرم بين المعارضة والنظام حتى بدأت بوادر التغيير تظهر في كافة مناحي الحياة.

### صنع حلويات العيد في المنازل

دفع ارتفاع أسعار الحلويات الكثيرين إلى البحث عن بدائل أقل تكلفة، كصنع الحلويات في المنزل لتأمين ما تحتاجه الأسرة منها، وساعدت مقاطع الفيديو المنتشرة على اليوتيوب السيدات على ذلك. بينما وجدت بعض الأسر في صنع الحلويات في المنزل مصدراً للدخل من خلال بيع ما تنتجه. وقد لاقت الحلويات المنزلية رواجاً كبيراً، لرخص ثمنها وجودتها ونظافتها. ففي المحال وصل سعر كيلو الحلو الجيد إلى ما يساوي 15 دولاراً، والمتوسط إلى 10 دولارات. أما المكسرات التي تستخدم في صنع الحلويات فارتفع سعر كيلو الجوز ليصبح 10 دولارات، وسعر كيلو الفستق الحلبي 18 دولاراً، وبلغ سعر كيلو الزبدة العربية 12 دولاراً.

أم عمر (43 عاماً)، من سكان مدينة إدلب، تعمل بصناعة الحلويات المنزلية منذ أن اعتقلت قوات النظام زوجها واضطرت إلى إعانة أفراد أسرتها من خلال هذه المهنة البسيطة، تقول: «الله وكيلك، دفتر الحجز عندي سكّر من قبل العيد بأكتر من أسبوعين، وفي ناس حجزت من هلق لعيد الأضحى. أول مرة بيصير عليّ هيك كثافة بالطلب».

### مهرجان التسوق

وقد افتتح المجلس المحلي للمدينة مهرجان التسوق الأول في المناطق المحررة. وتعود هذه الفعالية الاقتصادية بالفائدة على سكان مدينة إدلب والنازحين إليها من المدن الأخرى، كما شكلت فرصة للتجار لعرض بضائعهم المعدّة للعيد، وأسهمت في خفض الأسعار من خلال روح التنافس في عرض المنتجات، ودفعت بعض التجار من المدن القريبة إلى دخول سوق المدينة وطرح كميات كبيرة من السلع المتنوعة، كما أتاحت فرص عمل لكثير من العاطلين عنه، وخففت الازدحام والضغط عن أسواق المدينة المكتظة بالسكان. وبسبب تنوع البضائع والأسعار التي تناسب كافة المشترين، فقد شهد المهرجان إقبالاً كبيراً من سكان المناطق المحررة المجاورة.

الحاج علي، صاحب إحدى البسطات في السوق، قال: «أعلن المجلس المحلي عن مهرجان التسوق قبل بداية شهر رمضان، وقامت اللجنة المشرفة عليه ببناء 45 خيمة في شارع مشتل المدينة، أو ما كان يعرف بـ«دوار الباسل»، تؤجر الواحدة بـ40 ألف ليرة سورية».

### ألعاب العيد تحمل مظاهر الحرب

لأول مرة منذ عدة سنوات نصبت المراجيح وانتشرت بسطات الألعاب في كل حارة وحي في المدينة. وأكثر ما ميز ألعاب هذا العام حضور الحرب، فكل مجسمات المعدات العسكرية والأسلحة تجدها على البسطات، وفي كل حي تجد الأطفال وقد انقسموا وشكلوا فصائل عسكرية ليجسدوا الواقع بكل تفاصيله، وصار من الطبيعي أن تسمعهم يتبادلون الحديث عن انتماءاتهم، فأحدهم يدّعي أنه من الجيش الحر وآخر من أحرار الشام وآخرون من الهيئة. وربما يتطور الجدال ليتحول إلى تدافع وتضارب بالأيدي، ما يستدعي تدخل الكبار في بعض الأحيان.

وقد شهدت أسعار الألعاب ارتفاعاً كبيراً، ليبلغ سعر البارودة ما يساوي 8 دولارات والمسدس 4 دولارات. أحمد العلي (37 سنة)، وهو بائع ألعاب، قال لنا: «ارتفاع الأسعار ناتج عن ارتفاع سعر صرف الدولار، بالإضافة إلى تضاعف أسعار النقل، والرسوم الكبيرة التي تفرضها الحواجز على المواد الخارجة من مناطق النظام، وتحكّم التجار بالأسعار وعدم وجود ضوابط لها؛ كل هذه العوامل جعلت الأسعار تزداد بشكل غريب. السنة الماضية كنا نبيع البارودة بـ3 دولارات، أما السنة فرأس مالها علينا 6 دولارات».

أسهمت بعض المنظمات في التخفيف على بعض الأسر من خلال توزيع الألعاب والهدايا على الأطفال، وخاصة أبناء الشهداء منهم، من خلال حفلات رعتها للترفيه عنهم.

ورغم الفرحة على وجوه الأطفال كانت قلوب الكبار تحمل لوعة وألماً كبيرين، فلا توجد أسرة إلا وفقدت عزيزاً أو تأذت من الحرب التي تدور رحاها منذ سنوات على امتداد البلاد.

# العيد في حلب
## لا عزاء للفقراء

فادي حسين

عزّز العيد حالة الانقسام الحاصل بين فئات المجتمع في حلب، بعد أن صار عبئاً إضافياً على العائلات التي تعيش كفاف يومها، التي باتت تشكل الشريحة الأعظم من سكان المدينة التي بدت حزينة في العيد، يمر أطفالها بمحاذاة الألعاب والأراجيح، يتفقدون جيوبهم شبه الفارغة ويبتلعون ريقهم، في حين تحولت حلوى العيد إلى حلم بعيد المنال بعد أن صار سعر الكيلو الواحد من المعمول يعادل نصف راتب موظف حكومي.

تقول أم محمد لـ«عين المدينة»: «كان المعمول هو الحلوى المعتادة لدى جميع الشرائح الاجتماعية في العيد لسنوات كثيرة. لم يكن هناك بيت يخلو منه، وكانت النساء تتفنن في صناعته وأشكاله وتقديمه». ومع الظرف الاقتصادي السيء الذي يعيشه أكثر سكان المدينة خلت شوارع حلب وبيوتها من رائحة توابله التي كانت تملأ المكان، فسعر الكيلو من المعمول بالجوز أو بالفستق الحلبي يتراوح بين 5000 و15000 ليرة سورية، أما سعر كيلو الكعك بعجوة فيتراوح بين 3500 و5000 ليرة.

وباتت صناعة الحلويات في المنزل أمراً في غاية الصعوبة كما تقول أم محمد، «فلا كهرباء لتشغيل الفرن، وسعر كيلو الجوز تخطى عتبة الـ7000 ليرة، بالإضافة إلى السمن والتوابل. أربع حبات من مادة المحلب اللازمة للكعك صارت تباع بـ150 ليرة».

أما أبو علي، الذي يملك محلاً لبيع القهوة والضيافة، فقال: «مرت وقفات العيد ولم أبع ربع البضاعة التي اشتريتها لمحلي، فأقل كيلو شوكولا بـ3000 ليرة وكيلو الملبّس 1400 ليرة. الأسعار تضاعف عشر مرات عن السابق، وصار الناس يعتبرون هذه الأشياء من الكماليات والرفاهية ولذلك تخلوا عنها من أجل شراء بعض الثياب أو الطعام». سيدة كانت في المحل دفعها الفضول إلى المشاركة في الحديث لتقول لنا: «فنجان قهوة وصلى الله وبارك، لا عيد ولا هم يحزنون. من وين الناس بدها تجيب؟!». توافق السيدة التي لم تذكر اسمها على كلام أبو علي وتضيف: «أي بدل لطفل، من النوع التعبان، بيكلف 4000. البيجاما الصغيرة طولا شبر بـ5000. وما في معين غير الله». لتختم حديثها وهي خارجة تحمل ربع كيلو من القهوة اشترته بـ1000 ليرة: «بالأول خلينا نلاقي مي نحمم الولاد وبعدين بيعيّدوا، من خمس تيام ما عنا ولا نقطة مي!».

على الطرف المقابل من المدينة، وأمام باتيسري جالاكسي حلب في منطقة الموكامبو، كانت السيارات الفاخرة تقف لينتظر أصحابها دورهم لشراء حلويات العيد. سعر كيلو الشوكولا هنا 15000 ليرة. علب فاخرة من الراحة المحشية بالفستق الحلبي يتدرج سعرها من 20000 وحتى 30000 للكيلو الواحد. رواد المكان إما من العائلات الغنية أو من محدثي النعمة من الشبيحة، كانوا يملؤون سياراتهم بما لذ وطاب. مئات الآلاف تدفع عند المحاسب، تاركين أطفال المدينة أمام دور الماء الطويل، بعد أن نسي أولئك الأطفال فرحهم بالعيد وانتظارهم له، ينامون من تعبهم وهم يعانقون ثيابهم الجديدة حالمين بالعيدية، وطعم البوظة، ومتعة الأراجيح.

في حي الأشرفية نصب الشاب أحمد المرجوحة الصغيرة التي اشتراها بـ50000 ليرة ليعمل عليها في أيام العيد، مستعيداً أهازيج تقليدية يرددها على مسامع الأطفال تحت الشمس الحارقة لجذبهم إلى المكان، وهم يرددون وراءه: «يا حج محمد يويو»... «هي دور السكّر»... «يا ولاد العيد». الدور الواحد لعشر دقائق بـ75 ليرة. «خلص العيد ولسا ما جمعت نص حق المرجوحة»؛ قال أحمد وهو يهز الأرجوحة بكلتا يديه: «الولاد ما معون مصاري، كنت عبطالعون ببلاش، إشو أعمل». وعلى بعد أمتار منه، في الصالة المكيفة في «الأشرفية مول»، كان صخب أطفال آخرين وموسيقا المكان يصلان إلى الشارع وهم يضحكون ويتقافزون في المدينة المطاطية التي نصبت خصيصاً لهذا اليوم، ورسم الدخول إليها 500 ليرة لمدة ربع ساعة.

أما في القسم الشرقي المحتل حديثاً من المدينة فكانت الشوارع شبه فارغة. خلت البيوت من مظاهر العيد وزياراته، وحتى تكبيراته غابت عن المكان. في بعض زوايا الحارات فقط، على أنقاض البيوت، وجد بعض الأطفال مكاناً ليحملوا أسلحتهم البلاستيكية ويمارسوا لعبة الحرب.

الصور من مدينة حلب - خاص عين المدينة

# في دير الزور، حيث يحارب التحالف داعش بقتل الأبرياء

فوزي عبد العزيز

في ساعات القصف تكاد دير الزور تتحول إلى قطعة من الجحيم. حينها لا مفر سوى الاستسلام للقدر، فاحتمال الموت واحد مع القنابل العمياء والضمائر الميتة.

AFP

الاعترافات الأميركية بالخطأ، بعد المجازر التي ترتكبها طائرات التحالف بين وقت وآخر في حق السكان المدنيين في دير الزور، لا تعني شيئاً لأحد، لأنها لن تعيد للقتلى المظلومين حياتهم ولن تحاسب القاتل ولن تحول دون وقوع الخطأ مرة أخرى. في الأربعين يوماً الأخيرة، حسب المرصد السوري لحقوق الإنسان، قتل في مدينة الميادين وحدها 240 شخصاً من المدنيين، كان آخرهم قبل أيام حين دمرت طائرات التحالف سجناً سرياً لداعش بمسجونيه. أربعون سجيناً بتهم أمنية مختلفة قضوا بغارة التحالف تلك، إلى جانب حراس لا يشكل مقتلهم خسارة مؤذية للتنظيم. في اليوم التالي أكملت داعش المشهد الوحشي بعرض جثث السجناء في الشارع بحجة أن يساعد المارة والمتفرجون بالتعرف عليهم، ثم، وبعد أن ظلوا مجهولي الهوية لساعات، دفنوا على عجل في قبر كبير واحد. داعش تعرف من هم مسجونوها بالطبع، لكنها استكثرت على ذوي القتلى أن يعلموا شيئاً عن مصير أبنائهم، بل استخدمتهم في دعايتها ضد التحالف الذي لا يميز «بيننا وبينكم، فكلنا مسلمون» حسب ما يقول الدواعش في تأليب الناس لصالحهم. على الأرجح، كان التنظيم سيعدم ضحايا السجن لو ظلوا أحياء، لكن التحالف كان أسرع في قتلهم. قبل يومين، في بلدة دبلان شرق دير الزور، قتل بقصف ليلي ممتد لطائرات التحالف أكثر من 30 شخصاً حسب المرصد، ونقلت صفحات محلية أعداداً أكبر، فضلاً عن أضعافهم من الجرحى، بعضهم سيظل بعاهات دائمة.

هل يبذل ما يكفي من الجهود لتجنب سقوط أبرياء؟ قد يكون توزع مقرات داعش وإقامة قادتها بين الناس سبباً يفسر جزءاً من المشهد الدامي، لكن أسباباً أخرى بلا شك تسهم في هذا الاستهتار الوقح بحياة الناس، من جانب التحالف ومن جانب من يرشد الطائرات إلى أهدافها الداعشية على الأرض. يلفت بديع الراوي، وهو ناشط من دير الزور، إلى ملاحظة أثارت انتباهه في حادثة السجن السري وحوادث أخرى، أخلى فيها قادة من داعش بيوتهم فجأة قبيل الغارات التي ستستهدفها: «عميل مزدوج يعمل لحساب الطرفين، داعش والتحالف في الوقت ذاته». ويلفت إلى استعمال داعش هؤلاء العملاء لتضليل طائرات التحالف: «فمن حذّر هؤلاء القادة من غارة محتملة على بيوتهم؟». بينما يذكر أسماء طبيب وممرضين قتلوا بغارة للتحالف على مشفى ميداني في قرية جديد عكيدات. في تحقيق لجريدة الفايننشال تايمز نشر مؤخراً عن شبكات مرشدي التحالف، نقلت الجريدة على لسان شاب عمل في هذه الشبكات عبارة سمعها من رئيسه حين أبدى الشاب غضبه لسقوط ضحايا مدنيين: «من يعمل في هذا العمل عليه أن يضع قلبه وضميره تحت حذائه».

في المساحة الأضيق من المحافظة، بين بلدتي البوليل والقرى الأولى في الريف الغربي مروراً بمدينة دير الزور، وهي المساحة المخصصة حسب ما يبدو لطائرات النظام وحلفائه الروس، لم يسهم انخفاض عدد السكان، بسبب موجات نزوح سابقة، في تقليص عدد الضحايا، إذ ارتفعت مؤخراً وتيرة الغارات الجوية وأشكال القصف الأخرى عما كانت عليه في السابق. وتحمل الأنباء المتواترة من هناك كل يوم وآخر أسماء قتلى فرادى أو جملة، أم وأب وأطفال، جدة مع أحفادها ناموا في منزلهم ليلاً وأصبحوا قطعاً ممزقة. المذهل مع كل هذا الموت في دير الزور أن تصير هدفاً لنازحين من أراض تخسرها داعش في سوريا والعراق.

يوماً بعد يوم، تضع داعش عوائق جديدة أمام من يفكر في الهروب خارج سيطرتها شمالاً، إذ تنفذ حكم الإعدام بأدلاء الطريق المأجورين (المهربين)، وتعاقب من يقبض عليه أثناء محاولة الهرب بمائتي جلدة بتهمة «الشروع بالردة»، ثم بدورة شرعية مغلقة لأربعين يوماً لإعادة التأهيل. وبمزيد من الحواجز والكمائن والمخبرين تضيق فرص النجاة حتى أمام المغامرين وأمام القلة الذين يستطيعون تحمل نفقات الرحلة ومشقة السير لأيام على طرق زرعتها داعش بالألغام الأرضية. يقول ناجون من رحلة الموت هذه إنهم شاهدوا على الطريق بقايا عظام بشرية وجثثاً متفسخة تأكل منها الكلاب، تعود لهاربين سابقين تاهوا في الصحراء وماتوا جوعاً أو عطشاً أو بالألغام.

# لواء القدس عصابة «مشلّحين» ومرتزقة وليس فصيلاً فلسطينياً

مصطفى خطيب

تمتلئ جدران مخيم النيرب للاجئين الفلسطينيين، جنوب شرق حلب، بصور القتلى. ولكن هؤلاء ليسوا مناضلين ضد الاحتلال الإسرائيلي كما تعودنا، ولم يقوموا بعمليات في فلسطين، بل سقطوا أثناء وقوفهم مع قوات الأسد بعد أن زج بهم لواء القدس وقائده المرتبط بالمخابرات السورية على جبهات حلب.

## التأسيس

أُعلن عن تأسيس لواء القدس في تشرين الأول عام 2013، بقيادة المهندس محمد السعيد، وهو أحد أبناء مخيم النيرب المعروفين بثرائهم، وكان يمتلك شركة عقارات ومقاولات. يقول أبو محمد، أحد سكان المخيم، إن «ثروة السعيد جاءت من الرشاوى والسرقات والمخالفات العقارية التي كان يبنيها بالاتفاق مع متنفذين في مدينة حلب قبل الثورة».

ويقول أبو محمد إن بداية اللواء كانت قبل هذا التاريخ بكثير، مع عدنان السيد، وهو أحد الشبيحة المعروفين بسوء السمعة، وكان يملك صالة أفراح ومجموعة من المحال التجارية في مخيم النيرب، وشكل مع مجموعة من الشبان الفلسطينيين مجموعات كانت تساند الشبيحة في حلب، لقمع المظاهرات منذ بدايتها في المدينة عام 2011. ويرجع صالح أبو الزين تشكيل لواء القدس إلى عدة أسباب استفاد منها نظام الأسد في إشعال الشرارة لتسليح أبناء المخيم، كان أولها في عام 2011 عندما قتل أهالي قرية النيرب السورية القريبة، وأثناء امتحانات الشهادة الإعدادية، ثلاثة من أبناء المخيم على خلفية عراك بين الطرفين، «فجأة ظهر السلاح في المخيم وصار التجار يبيعونه بأسعار زهيدة. معظم أبناء المخيم تسلحوا وقتها، وهجموا على قرية النيرب وقتلوا العديد من أهلها». بعد هذه الحادثة اتفقت معظم الفصائل الفلسطينية في المخيم، وعلى رأسها فتح وحماس والجهاد، وهي الفصائل الأقوى، على منع التسليح، وكان الجو السائد في المخيم يقضي بتوعية الشباب لعدم زجهم في المعركة.

وثانيها كان حادثة قتل جنود جيش التحرير الفلسطيني الثلاثة عشر في مصياف والتمثيل بجثثهم، وما أشيع وقتها زوراً من مسؤولية فصائل المعارضة عن ذلك. شكلت هذه الحادثة نقطة مفصلية في صعود عدنان السيد ومجموعته، وانضمام الكثير من شبان مخيم النيرب إلى هذه المجموعة التي اصطدمت مع الكثير من أصحاب الفكر السياسي داخل المخيم، الذين كانوا يتهمون، بحسب المدرس صالح أبو الزين من سكان مخيم النيرب «نظام الأسد بتصفية الجنود لإدخال الفلسطينيين في صفوفه والاعتماد عليهم في معركته».

ويضيف أبو الزين أن «الخلاف التاريخي بين حركة فتح وحماس هو الذي قلب الموازين، فحركة حماس وقفت ضد نظام الأسد مما جعل عدداً كبيراً من أنصار حركة فتح يقفون إلى جانب النظام، على الرغم من العداء الأزلي بين حركة فتح ونظام الأسد منذ زمن قائدها الراحل ياسر عرفات»، وعداء الأسد ووزير دفاعه وقتها مصطفى طلاس لحركة فتح، واعتبار ياسر عرفات خائناً.

أما النقطة الثالثة فهي دخول المعارضة إلى مخيم حندرات وطرد أهله من بيوتهم في منتصف 2013.

استفاد عدنان السيد ومجموعته من هذه النقاط لتوسيع سيطرتهم على المخيم، ودعوة الشبان إلى الانضمام إلى مجموعتهم التي لم تكن وقتها قد أخذت اسم «لواء القدس»، ضمن ثقافة احم نفسك التي انتشرت. فقاموا بتوزيع السلاح على المنتمين إليهم، ونشر الحواجز في المخيم، وقمع المظاهرتين الوحيدتين اللتين قامتا فيه ضد النظام. وكان عدنان السيد يوزع الأسلحة ومعها رخص حملها الصادرة من إدارة المخابرات الجوية.

في تشرين الأول 2013 أسس السيد لواء القدس، الذي اعترفت به حكومة دمشق كقوات رديفة للجيش، وعينت محمد السعيد قائداً عاماً له، في حين تسلم السيد مهام نائب قائد اللواء، ومحمد رافع -أو العراب كما كان يطلق عليه- والذي قتل في نهاية تشرين الثاني عام 2016، مسؤولاً للعمليات العسكرية، ثم خلفه أخوه الملقب أبو جعفر الذي كان أحد ضيوف شادي حلوة كسارق يسطو على المنازل واعترف بذلك على التلفاز.

## دوافع تشكيله

لواء القدس عصابة ليس لها أيديولوجيا فكرية أو حزبية، وهي ليست تياراً سياسياً أو فصيلاً فلسطينياً. يرى أبو المجد، الذي ينتمي إلى حركة حماس والذي ترك المخيم منذ منتصف 2014، أن معظم المنتمين إلى اللواء هم من الشبان الصغار وغير المتعلمين. ويقسّم عناصر اللواء إلى ثلاثة أقسام بحسب دوافعهم للانضمام،

فبعضهم لجأ إلى اللواء الذي أصبح السلطة الحاكمة في المخيم نتيجة الظروف الاقتصادية الصعبة، أي من أجل الرواتب. وتزايدت أعداد هؤلاء خلال حصار المخيم في نهاية عام 2012، عندما «ترك نظام الأسد الفلسطينيين لقدرهم في الفقر والجوع، ليجبرهم على القتال إلى جانبه».

أما القسم الثاني فكانوا من أصحاب السوابق والسمعة السيئة الذين لجأوا إلى اللواء للسرقة، فهؤلاء كانوا ينتظرون الأقوى: «لو المعارضة دخلت المخيم لصاروا مقاتلين مع المعارضة»، وخاصة بعد أن اعتقل النظام كثيراً من الكوادر السياسية، وخاصة من الجبهة الشعبية، وعذبهم في السجون، وضيّق الخناق على الفصائل التي لم يعد لمكاتبها الدور الذي كانت تقوم به سابقاً في التوعية السياسية.

أما القسم الأخير الذي كانت السلطة هي كل ما يريدونه، أمثال محمد السعيد وعدنان السيد وغيرهم، فارتموا في أحضان المخابرات لتحقيق مآربهم.

ويرجع أبو المجد قدرة النظام على تجنيد هؤلاء الشبان إلى أن «الجيل الجديد لم يعد جيل فلسطين ولا جيل القضايا الكبرى. غاب الوعي السياسي في المخيمات، وأهملت في الفترة الأخيرة المكاتب ومقرات الفصائل، ولم يعد هناك ميزان للوقوف مع الحق ضد الباطل، بل أصبحت السرقة والراتب والمنصب هي كل ما يشغل هذا الجيل». ويتساءل أبو المجد: «ألم يرَ أبناء المخيم ما حل ببيوتهم في حندرات؟ فبعد استرجاع المخيم كان 95% من المنازل قد هدم بفعل طيران الأسد وقذائفه. ناهيك عن عدالة القضية الفلسطينية التي حاولنا على مر السنين ترسيخها في أذهان أبنائنا، ليقفوا مع حق الشعوب في تقرير مصيرها لا ليحاربوا الشعوب المضطهدة».

### المخيم في ظل لواء القدس

معظم أهالي المخيم من الموالين لبشار الأسد، ولكنهم من المعارضين لوجود لواء القدس الذي يتهمونه بالسرقة والقتل وتجنيد الأطفال، بعد أن انتشرت الدورات التي يقيمها لتجنيد الأعمار بين 15-18 سنة، بالإضافة إلى الظلم الذي مارسه عناصر اللواء على أبناء المخيم وتحكمهم بمقدراته، ما دفع الكثيرين إلى مغادرته للعيش في مناطق النظام أو إلى الدول المجاورة كلبنان وتركيا أو الهجرة إلى أوروبا.

يقول أبو الزين: «خلال عامي 2014 و2015 خرج الكثير من أبناء المخيم ليعيشوا في مناطق المعارضة، وخاصة في مساكن هنانو، وبعضهم قاتل إلى جانب المعارضة، وخاصة أبناء الفصائل ذات التوجه الإسلامي. شكلوا كتيبة أسموها ابن تيمية، وكان معظمهم من أصحاب الشهادات الجامعية.

بالإضافة إلى ذلك انتشرت حركة تشيع كبيرة في المخيم، أسهمت في تجنيد أبنائه في فصائل تتبع لحزب الله أو الحرس الثوري الإيراني، الذي يرى أبو محمد أن اسم «لواء القدس» لم يأت من العاصمة الفلسطينية والانتماء للقضية، بل جاء من ارتباطه بـ«فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني». ويضيف متهكماً أن الطريق يمر من «جمعية الزهراء -مقر لواء القدس- مرورا بإدلب فالقدس».

### عناصر اللواء

يضم أبناء مخيم حندرات الذين اتجهوا نحو مخيم النيرب بعد أن سيطرت قوات المعارضة على مخيمهم و«كان عدد المسلحين في حندرات وقتها لا يتجاوز 13 مقاتلاً معروفين بالاسم» كما يقول محمد .إ، أحد أبناء المخيم، ليتجاوز عددهم الآن 500 مقاتلاً، وأبناء مخيم النيرب الذين يتجاوز عددهم 3000 مقاتلاً. ولا يقتصر تكوين اللواء على الفلسطينيين بل يضم الكثير من أبناء الريف الشمالي (حيان ورتيان) والعشائر (كعائلة بري)، والكثير من الشبيحة والمرتزقة.

يتجاوز عدد عناصر اللواء الآن 5000 مقاتلاً، ينقسمون على ثلاثة كتائب رئيسية: الأولى «كتيبة أسود القدس» التي تقاتل في مخيم النيرب ومحيطه والريفين الجنوبي والشرقي لحلب، والثانية «كتيبة الردع» الناشطة في الريف الشمالي بالقرب من نبل والزهراء، والثالثة كتيبة «أسود الشهباء» التي كانت تقاتل داخل مدينة حلب. ويفخر اللواء أنه خاض أكثر من 200 معركة لصالح نظام الأسد، بحسب صفحته على فيسبوك، في حين يقدر عدد القتلى في صفوفه بـ300 والجرحى بأكثر من 1000.

عدنان السيد باللباس العسكري في المضافة

# الكوسوفوي لافدريم مُهاجري
## أكثر الدواعش قتلاً للسوريين

د. علي حافظ

من إصدارات داعش

**من المعروف أن أبو بكر البغدادي لا يثق كثيراً بعناصره العرب والأجانب، ولذلك نجد أغلب قياديه من العراقيين، لكن مع بعض الاستثناءات القليلة؛ كالناطق الإعلامي السابق باسم التنظيم، السوري طه صبحي فلاحة (أبو محمد العدناني)، ووالي حلب السابق، السوري عمرو العبسي (أبو أثير العبسي)، والقائد العسكري السابق طرخان باتيرشفيلي (عمر الشيشاني)، وأمير الألبان في التنظيم لافدريم مُهاجري، المعروف في الأوساط الجهادية باسمه الحركي أبو عبد الله كوسوفا، وفي الإعلام الغربي بجزار البلقان.**

لافدريم مهاجري Lavdrim Muhaxheri مسلم من ألبان كوسوفو، ولد في 12 آذار 1989 (وفقاً للإنتربول)، أو في 3 كانون الأول 1989 أو 1987 (وفقاً للأمم المتحدة)، في مدينة كاتشانيك، وهي بلدة صغيرة بالقرب من الحدود المقدونية ومعروفة كمركز للجهاديين، ضمن ما كان يعرف حينها بيوغوسلافيا.

نشأ في أسرة فقيرة، وترعرع ضمن أجواء الحرب القاسية (1998–1999)، وعمل في «معسكر بوندستيل» التابع لـ«قوة كفور» حتى 2010، ثم رقي للعمل في معسكر تدريب منظمة حلف شمال الأطلسي بأفغانستان، حيث خدم بين عامي 2010.2012، ليكتسب خبرة قتالية احترافية كبيرة، ويعود بعدها إلى كوسوفو ويرتبط بمجموعات إسلامية متشددة. أولاً مع منظمة محلية اسمها Parimi، ثم أميراً عسكرياً للمنظمة الإسلامية لشباب كاتشانيك التي انبثقت عنها. ورغم ذلك قال أصدقاؤه لوسائل الإعلام إنه لم يكن متطرفاً قبل الانضمام إلى مثل هذه المنظمات.

ولبسط نفوذه وتقوية وجوده أخذ يتدخل في الحياة العامة لأهل بلده، فأشرف على تعيين إمام مسجد كاتشانيك، وسط صراع بين المتطرفين والسكان التقليديين، وهدد بقتل الذين انتقدوا ألبان كوسوفو الذاهبين للقتال في سورية والعراق.

وصل إلى سورية أواخر عام 2012، وانضم إلى جبهة النصرة، ليصبح بعد مدة قصيرة قائداً لوحدة المجاهدين الألبان فيها. عاد إلى كوسوفو عام 2013، وحضر مهرجان رمضان الذي أقيم هناك، ثم قفل راجعاً إلى سورية ليبايع «الدولة الإسلامية في العراق والشام» ويقود مقاتليها من أصل ألباني، الذين كانوا نحو 500 من غرب البلقان، بينهم 300 كوسوفوي. وخلال وقت قصير كسب ثقة قيادات داعش وأصبح صلة الوصل بينهم وبين القادمين من ألبانيا وكوسوفو ومقدونيا، ويقدم التقارير عن عمله إلى البغدادي مباشرة.

ظهر في شريط فيديو، في تشرين الأول 2013، يدعو الألبان إلى الانضمام إلى داعش والقتال في صفوفها. وكذلك ظهر في 17 أيار 2014 في إصدار «صليل الصوارم» الجزء الرابع، وهو فيلم دعائي عنيف للغاية مدته ساعة، أنتج بأسلوب هوليوودي. وألقى فيه خطبة حماسية قال فيها: «الحمد لله الذي رزقنا أن نهاجر في سبيل الله وننضم في هذه الدولة الإسلامية، الدولة الإسلامية في العراق والشام، ونحمد لله الذي رزقنا وجمعنا مع هؤلاء أسود دولة الإسلام في كل مكان، والحمد لله الذي رزقنا أن نبايع أمير المؤمنين أبي بكر القريشي البغدادي حفظه الله. يا أميرنا، لقد بايعنا على السمع والطاعة، وبايعنا على الموت، فامض بنا حيثما أمرك الله. ونقول للطواغيت والكفار في كل مكان، نحن نقول لكم كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: «إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ». ونقول لكم كما قال النبي «إنما جئناكم بالذبح». وهنا يخرج سكينه الطويلة ويلوح بها بيده ويقول منفعلاً: «فأبشروا أيها الكفار (تقاطعه أصوات التكبير). والله العظيم سنطهر الجزيرة منكم يا أيها الأنجاس، ونفتح بيت المقدس منكم يا أيها اليهود، ونفتح روما... سنفتح روما والأندلس بإذن الله تعالى. (يبدأ بالتكبير ثم يتابع) هذه جوازاتكم يا أيها الطواغيت في كل العالم، والله نحن مسلمين، نحن مسلمين، نحن مسلمين». ثم يمزق جواز سفره ويرميه إلى النار المشتعلة أمامه، فيتبعه الآخرون ليمزقوا جوازاتهم ويرمونها أيضاً إلى النار، على خلفية أصوات تكبيرهم ونشيد: «أُمّتي قَدْ لاحَ فَجرٌ فَارقُبي النصر المُبين/ دَولةُ الإسلام قامَت بدِماء الصّادِقين».

وفي 29 تموز من العام نفسه نشر، على صفحته في فيسبوك، صوراً له وهو يذبح شاباً سورياً مجهول الهوية. وقال في مقابلة له مع الصحيفة الألبانية «ديتا» (نشرت 2 آب)، مبرراً جريمته، إن الشاب كان جاسوساً يبلغ من العمر 19 عاماً، وإنه قد تصرف وفق القرآن والسنة، ولم يفعل إلا ما فعله جيش تحرير كوسوفو خلال الحرب ضد الصرب. ومنذ ذاك الحين تصدر اسمه الصحف العالمية، وتلقى الإنتربول طلب اعتقال دولي بحقه من سلطات كوسوفو في 15 آب. وبعد عدة أيام ذكرت شبكة الأخبار الكردية KNN أنه قد قتل، وعرضت صوراً تزعم أنها لجثته، لكن صديقاً له نفى الخبر. وربما كان حذف صفحته على فيسبوك قد أدى إلى شيوع مثل هذه التكهنات.

وفي أواخر الشهر نفسه شنت سلطات كوسوفو حملة واسعة اعتقلت خلالها أكثر من أربعين مواطناً يشتبه في علاقتهم بالحروب الدائرة في سورية والعراق، بينهم العديد من أئمة المساجد المنتسبين إلى الجماعة الإسلامية في كوسوفا. وبتاريخ 17 أيلول أصدر وزير الخارجية الأميركية السابق، جون كيري، بياناً حول مهاجري اعتبره فيه تهديداً للأمن القومي الأميركي، فوضع بالتالي على «القائمة السوداء» للولايات المتحدة في 24 أيلول. وفي 2 تشرين الثاني فرضت وزارة الخزانة الأميركية عقوبات مالية وجمدت الأصول المفترضة وحظرت معاملات عدد من المقاتلين الإسلاميين، بينهم مهاجري.

وفي 21 أيار 2015 نشرت مجموعة «الرقة تذبح بصمت» فيديو يظهر فيه مهاجري، مع مجموعة من عناصره، وهو يحقق مع شاب مقيد إلى عمود خشبي اسمه إبراهيم الشريدة، وهو مريض عقلي من بلدة أبو حمام في ريف دير الزور ينتسب إلى قبيلة الشعيطات. يعترف إبراهيم أنه قتل عنصرين من تنظيم الدولة، لينطق مهاجري بالحكم مباشرة أمام الكاميرا: «هذا عدو الله عز وجل، قتل اثنين من الإخوة بالآر بي جي، وبإذن الله عز وجل القصاص نفس الشيء، بالآر بي جي نقتله». ويعقب على حكمه شاب من المجموعة المرافقة بلهجة مغاربية ثقيلة، ثم يقول آخر: «هذا مصير كل مرتد». ثم يكبرون ويصرخون «دولة الإسلام باقية»، «دولة الخلافة باقية»، وهم يتراجعون إلى الوراء. وما يلبث مهاجري أن يرمي قذيفته باتجاه الشاب وتسمع أصواتهم وهم يكبرون ويطلقون الأعيرة النارية، ثم يقتربون من الجثة الممزقة على الأرض. ويتكلم مهاجري

بلغة مختلطة ألبانية-عربية غير مفهومة مهدداً المشركين، بينما يضع المغربي صاحب اللهجة الثقيلة رجله على رأس الضحية وهو يقول: «هذا هو مصيركم يا أعداء الله، وبيننا وبينكم الدم»...

ظهر مهاجري آخر مرة في سورية في 29 آب 2015، عندما نشرت داعش إصداراً دعائياً لتعزيز عملتها الجديدة، حاثاً الناس على التعامل بالدينار الذهبي.

وفي تشرين الثاني قامت الشرطة الإيطالية بعملية أمنية أطلق عليها اسم «فان دام» لتفكيك خلايا إرهابية تعمل بين كوسوفو وإيطاليا، يتزعمها سامت إمشتي الذي عاش بين بريشيا وكوسوفو. واعتقلت العديد من الجهاديين ذوي الأصول الألبانية الذين يعيشون في إيطاليا، كما عثرت على أدلة تؤكد علاقة إمشتي بمهاجري.

وفي 29 كانون الأول أفيد أن مهاجري كان في العراق، وفقاً لصور نشرها على تويتر وهو يبتسم حاملاً بندقية.

بين 4 و16 تشرين الثاني 2016 ألقي القبض على ثمانية عشر من ألبان كوسوفو وواحد من ألبان مقدونيا يشتبه في نيتهم تنفيذ هجمات إرهابية في كوسوفو وألبانيا، خطط لها مهاجري وزميله في داعش ريدفان (رضوان) حقيفي. وبحسب النيابة العامة خططت الجماعة لهجمات على مرافق الدولة والمنظمات الدولية بهدف تخويف السكان وزعزعة استقرار البلاد وتقويض النظام السياسي والدستوري والاقتصادي والاجتماعي، من أجل إقامة «دولة إسلامية» في نهاية المطاف. وكذلك خططت لمهاجمة فريق كرة القدم الإسرائيلي ومشجعيه خلال مباراته ضد ألبانيا، إضافة إلى استهداف العديد من المؤسسات الحكومية الكوسوفية والمواقع الكنسية الأرثوذكسية الصربية. وأثناء الاعتقالات عثر على كمية كبيرة من المتفجرات وعلى أسلحة فردية وأجهزة اتصالات. وبعد هذه العملية بث مهاجري وحقيفي شريط فيديو هددا فيه سلطات كوسوفو وألبانيا بسبب مساندة حكومتيهما للتحالف الدولي ضد داعش.

في 8 حزيران 2017 قالت شرطة كوسوفو، استناداً إلى عائلة مهاجري، أنه قتل في الشرق الأوسط، دون تقديم تفاصيل أخرى. بينما أفادت تقارير وسائل الإعلام المحلية، نقلاً عن مصادر في وزارة الداخلية الكوسوفية، أنه قتل بغارة جوية لطائرات أميركية في العراق.

أجاد لافدريم مهاجري الحديث والخطابة باللغة العربية، وتمتع بكاريزما قيادية، وعرف بقسوته وعنفه، ووصف بأنه «ذكي واستراتيجي عسكري ذو خبرة»، ما جعله شخصية مقربة من «الخليفة». فتمتع بهامش واسع من الاستقلالية، وسُمح له بمحاكمة السوريين ميدانياً دون الرجوع إلى أجهزة الحسبة أو إلى المحاكم الشرعية، فأوغل كثيراً في سفك الدم السوري البريء، إذ يحوي سجله الإجرامي على الكثير من الضحايا، لا سيما من أبناء دير الزور.

# بلدة معدان شرق الرقة

## تاريخها الشفوي وتركيبتها الاجتماعية

تستمد المرويات في ناحية معدان طاقتها التأريخية من مخفر عثماني في قرية معدان عتيق، التي أعطت المكان اسمه، والتابعة إدارياً في الوقت الحالي لدير الزور، ومئذنة الجامع الكبير الغربي من ذات التاريخ في معدان جديد، المركز الإداري والتجاري الأهم في ريف الرقة الشرقي. ثم تعرج إلى أوراق ملكية عثمانية يملكها البعض، ومخفر فرنسي يتذكر كبار السن أنه كان موجوداً في المنطقة، يمنح أهاليها أوراقاً خاصة تساعدهم في التنقل للرعي شمالاً، ومخفر آخر في معدان جديد ما زال قائماً يعود إلى الخمسينيات، وإقطاعات ومشاريع وتوافد كبير للديريين، ثم صدامات، لم تخلف شروخاً كبيرة بينهم وبين الأهالي، على خلفية عملية تحديد وتحرير الأراضي في الستينيات، وتوافدٌ كبيرٌ آخر من مسافة كيلومترين في قرية الخميسية، أقدم مكان مأهول في المنطقة، على ما يقال، وصولاً إلى معدان السبعينيات، حين كانت بيوتاً متناثرة حول المخفر الفرنسي القديم ذاته.

ساعد موقع معدان في منتصف المسافة بين الرقة ودير الزور (70 كم شرق الرقة) في جعل البلدة، ذات الـ35 ألف نسمة، مركزاً تجارياً مهماً لريف الرقة الشرقي، من قرية غانم العلي حتى ما بعد الحدود الإدارية لدير الزور. وقد تبلورت أهميتها التجارية سوقاً شعبية كبيرة تنعقد كل خميس. إلا أن ذلك الموقع بالذات جعلها مغناطيساً جذب من الشرق والغرب أضعاف سكانها، وحوّلها بالتالي إلى ما يشبه مدينة صغيرة تنتمي إلى أرضها فقط دون عصبيات عشائرية حادة، رغم الروابط التي ما زالت تجمع سكانها من البوسبيع، أحد أفرع قبيلة البوشعبان، إلى أبناء عمومتهم من فرقة السبخة (فرقة رئيسية من البوشعبان). وقد أسهمت تلك الروابط العشائرية، في أوقات سابقة، في تحالف أبناء معدان الانتخابي مع السبخة، ثم أسهمت روابط مكانية في استجابتهم لانتفاضة أهلية أطلقها أهالي الخميسية المجاورة، بسبب الانتخابات ذاتها.

### الانتفاضة الأهلية

قبل انتخابات مجلس الشعب لعام 2007 كان أهالي معدان يدلون بأصواتهم لصالح مرشح العفادلة (فرقة رئيسية أخرى من البوشعبان)، في الضفة المقابلة من النهر، لكن الأمر تغير مع تلك السنة، حين فاز بالانتخابات عبد المحسن أنور الراكان، شيخ السبخة، إلى جانب عبد المهدي الحمود، الطبيب والأستاذ الجامعي، على حساب مرشحين آخرين من العفادلة هما إسماعيل المسهوج (البليخ) ومحمد الفيصل (الهويدي)، اللذين رفض امتدادهما الاجتماعي التسليم بالنتائج، فحاصروا قصر المحافظ وضغطوا عليه لإعادة الانتخابات، فاستجاب للأمر بدعوى وجود تزوير. في تلك الأثناء، ووسط احتفالات الخط الشرقي في الشامية بنجاح مرشحهم، سمع الأهالي من مكبرات الجوامع: «راح منكم الكرسي»، ليخرج من البيوت في كل الخط قرابة 30 ألف شخص، فيقطعوا طريق حلب دير الزور، ويحرقوا الدواليب، ويحتجزوا سيارة المالية لست ساعات، ويصادروا أسلحة عناصر الأمن، ويحطموا صناديق الاقتراع.

أخمدت الانتفاضة بحل توافقي ينص على إعادة الانتخابات في الخط الشرقي باستثناء الدائرة الانتخابية للسبخة، ليصعد المرشح محمد الفيصل ويزاح عملياً نتيجة ذلك الدكتور الحمود، ولكن بعد أن وعده المحافظ بتسلم وزارة الصحة، كما أشيع وقتها. وذلك بالتوازي مع القسوة المعروفة عن النظام الذي سمى ما حدث شغباً، وأرسل مباشرة قطعاً عسكرية إلى الرقة، واعتقل أقرباء الحمود والكثير من أبناء معدان والسبخة الذين اختزنوا من تلك الحادثة، التي خلفت جريحين، أن انتخابهم للحمود كان على أساس خلفيته الجامعية أما الراكان فعلى أساس خلفيته المشيخية، واحتفظوا من الحادثة كذلك بهتاف رددوه وقتها يقول: يا بشار ويا بشار/ ليش الكرسي تايندار؟

### الديريون والخميسية

لا ينفصل وجود معدان الحالي عن أبناء الخميسية والديريين الذين يتقاسمون تاريخها مناصفة. وقد جاءها من الديريين عوائل وأفراد منذ ثلاثة أجيال لإدارة المشاريع الزراعية والتعليم، ثم في فترات لاحقة للعمل والاستقرار، فصار الحديث عنهم أحد محاور التاريخ الشفوي المتداول بين الأهالي. فهناك البعاجين والعليوي والهنيدي، وهناك عملة رويلي، وهي صكوك ممهورة منه تعامل بها الأهالي في وقت ما كبديل عن العملة الشحيحة وقتها، وهناك عبد الله الرويلي الرجل الذي جاء هارباً إلى المنطقة ثم أسس للتعليم فيها. لكن هناك، على المقلب الآخر، محمد الفواز من السبخة الذي كان يملك الزور كله (أراضي سرير النهر).

لا يتجاوز عدد المسجلين في السجل المدني لمعدان مرتبة الآلاف. ولعله ذا دلالة أن رئيس البلدية قبل الثورة كان ينتخب من أبناء الخميسية في معدان بشكل دائم، بينما المجلس المحلي الأول الذي تأسس بعد الثورة كان بأعضائه كافة من الديريين، باستثناء رئيس مكتب التعليم. على أن ناشطين من معدان أبدوا استغرابهم من رد أولئك الأشخاص إلى مناطقهم، في جلسة طرحنا فيها الأمر عليهم، فهم لا يرون فيهم، دون مجاملة أو أهداف نبيلة، إلا أبناء معدان.

# بعث معدان وسلفيتها وحراكها الثوري

للبعث قصب السبق في ناحية معدان، فمعه عرف الأهالي بدايات العمل الحزبي، وانخرط فيه الكثير من أبناء المنطقة بالعموم، واكتسبت في صعوده زخماً في إعمار المدارس والمراكز الصحية وافتتاح الجمعيات الفلاحية وجمعية الغنامة في البلدة، ثم المصرف الزراعي. واستمرت المنطقة تمد البعث بالعديد من كوادره. أما الأحزاب الباقية فدون امتداد شعبي، رغم حضور بعض أحزاب الجبهة كالوحدويين الاشتراكيين (مصطفى العليوي)، ثم حزب التحرير الإسلامي (فرج الشعبان)، وأحزاب التجمع الديمقراطي المعارض (أحمد الحمد من العمال الثوري، وعبد الله خليل من الاتحاد الاشتراكي)، إلا أنها بقيت بلا فاعلية واضحة أمام حزب البعث الذي سلح أتباعه في معدان يوماً وخوّفهم من هجوم الأكراد على خلفية إعلان دمشق، إلى جانب المد السلفي المتصاعد الذي صحت أحلامه بعد الثورة.

يرد في سجل الخطابة والإمامة والإفتاء في معدان اسم طه الحسون الطائي، المقرب من الشيخ محمد العريفي المتأثر بالوهابية، لكن من غير المعروف إن كانت له صلة بسلفية معدان القديمة نسبياً في المنطقة الشرقية، ويعيدها البعض إلى معلم شامي فلسطيني كان يدرّس في المنطقة، تزوج ابنته أبو السعود الكويتي، وبتأثير منه انتشرت السلفية. على أن شكلها السابق لا يشبه بأي حال السلفية التي ظهرت بعد الثورة، فرغم أن بعض أقطابها في محافظة الرقة من أبناء ناحية معدان، مثل سالم الحلو ورمضان رمضان، مارسوا منذ وقت طويل الحسبة الاجتماعية، إلا أنهم، كما يرى البعض، كانوا أقرب إلى المداخلة (تيار شرّع لدخول القوات الأجنبية إلى منطقة الخليج، ويعارض الخروج على الحاكم). ويلخص أحد أبناء معدان علاقة الخطباء، بشقيهم السلفي والصوفي، مع النظام قبل الثورة، أن الأخير «عمل لهم سوفت وير»، فصار الواحد منهم، بعد استدعاءات أجهزة الأمن المتكررة، يعرف المحظور والمسموح. إلا أن مشاهير المنطقة من السلفيين سيكون لهم دور بعد الثورة في «الدعوة والتقاضي» حتى عند سيطرة جبهة النصرة على المنطقة، والتي تحولت بدورها إلى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، بعد اشتباك قصير مع أحرار الشام في بداية 2014.

لم يسجل أي موقف من الثورة، سلباً أو إيجاباً، للشيوخ التقليديين في ناحية معدان، كأبناء حاجم الشبلي من العبد الله وعلي سالم العبد السفيرة، وهم يعيشون اليوم منكفئين في دمشق أو السعودية. بينما أخذ زمام المبادرة آخرون ليس لهم امتداد عشائري في معدان، كابن لادن (أحمد الخليفة)، والقسورة (سعودي الجنسية)، إذ نشطا في استقطاب المقاتلين والأتباع في كنف عوائل يعمل أبناؤها في الزرقا الأردنية، ثم شكلا خلايا داخل النصرة مهدت الطريق لسيطرة داعش.

من المظاهرتين اليتيمتين في نهاية 2011، مرورا بتشكيل الجيش الحر، ثم بطرد قطع النظام من بعض المواقع، وانسحابه من مواقع أخرى، تحت ضغط هجوم كتيبة صقور السنة من معدان ولواء جعفر الطيار ولواء الأمة من دير الزور في بداية 2013، ثم تشكيل المجلس المحلي، ثم سيطرة داعش على المنطقة، ثم، ومنذ أكثر من ثلاثة أشهر، إحكام قوات سوريا الديمقراطية سيطرتها على الضفة اليسرى لنهر الفرات، في الجهة المقابلة لمعدان؛ لا يبدي أهالي المنطقة تفاعلاً ملحوظاً مع الأحداث. وفي ظل سيطرة داعش على معدان من الصعب رصد أمزجة أهاليها ومعرفة موقفهم من قوات سوريا الديمقراطية، التي لا يفصل بينهم وبينها سوى النهر، والقرار الأميركي لعبوره.

أجرت مجلة «عين المدينة» استطلاعاً محدوداً للرأي في أوساط اللاجئين من معدان في ولاية أورفا التركية، طرحت فيه ثلاثة أسئلة على 83 شخصاً وفق ما يلي:

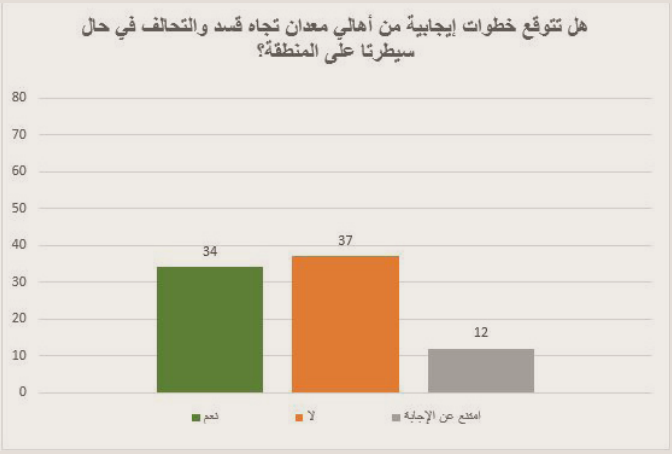


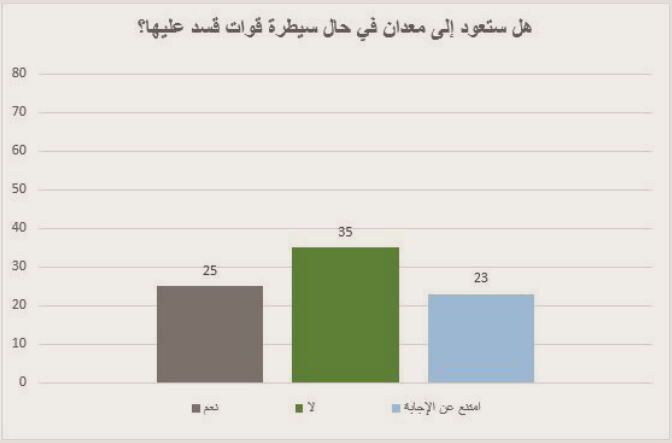


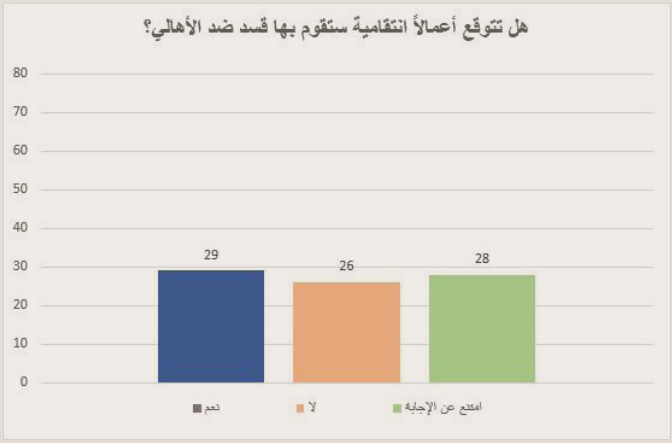


* أبدى مستطلعون تخوفهم خاصة من قوات النخبة المندرجة ضمن قوات سوريا الديمقراطية

# واقع الخدمات في معدان

معدان - من إصدارات داعش

كانت المحافظة على الأملاك العامة إحدى المهام المتوقعة من المجلس المحلي بعد طرد النظام، ولم يكن الأمر سهلاً مع وجود فصائل وضعت عينها منذ البداية على تلك الأملاك. لكن رغم بعض الاستثناءات، استطاع المجلس تحقيق الحد الأدنى من ضبط تلك الأملاك واستعمالها، بتحالف مضطرب مع «صقور السنة» وشرطة مدنية أسسها مدير ناحية سابق من المنطقة. وقد تركت جبهة النصرة ثم داعش المجلس يمارس أعماله حتى بعد أشهر من سيطرتها على معدان، إلا أن أعضاءه فضلوا التوقف عن العمل بعد مضايقات التنظيم المتصاعدة، ليتولى مكتب الخدمات فيه، إلى جانب دواوين ومكاتب أخرى، مهام المجلس المنحل.

يرى ناشطون من معدان أن مطالب أهالي ناحيتهم خدمية وليست سياسية، ولذلك لم يتفاعلوا مع الثورة، التي استجاب لها في البلدة أفراد من الفئات الوسطى استطاعوا، عبر المجلس، تقديم خدمات جيدة نسبياً، الأمر الذي تحاول داعش حتى الآن الحفاظ عليه، رغم انهيار التعليم منذ مدة طويلة، ثم الزراعة، واليوم المياه والكهرباء والاتصالات، بسبب ظروف الحرب وسياسات التنظيم. فمنذ شهرين قطعت الكهرباء نهائياً عن معدان، وقبلها كان التنظيم يتقاضى 2000 ليرة سورية شهرياً من المستفيدين منها، والآن تنتشر عشر مولدات خاصة توفر ثمانية ساعات يومياً للمشتركين، بسعر ثلاثة آلاف ليرة للأمبير شهرياً. بينما تصل المياه عكرة عن طريق الشبكة في فترات متباعدة، بسبب كثرة الأعطال، ويلجأ الأهالي إلى شراء خمسة براميل من الماء بـ1000 إلى 1500. لكن التنظيم يكافح للمساهمة في تعويض الخدمات أو ضبطها، وهو ما يبدو جلياً في قطاعي الأفران والصحة، بينما حافظ سوق الخميس العريق على إيقاعه المعتاد.

## الأفران

عمل المجلس المحلي، بحسب رئيسه جاسم الموسى، على توزيع 100 طن من الطحين قدّمت من الخارج في بداية تأسيسه، و100 أخرى بعد خبزها في الأفران. ثم بدأ بعد ذلك باستعمال مخزون الصوامع التي استطاع، بضغط على الفصائل، أن يحافظ على محتوياتها البالغة 8452 طناً من الحنطة، وراح يشتري من عائدات الطحين محصول الفلاحين، ويبيع النخالة في مزاد علني.

وبحسب الموسى، تعاقد المجلس مع مستثمر لجلب مطحنة باستطاعة 10 طن يومياً وتشغيلها، لكنه كان يضطر إلى إرسال كميات أخرى عبر «أحرار الشام» إلى مطحنة النعيمي بحلب، مقابل كمية من الحنطة تصل إلى 30%. وفي منتصف 2014 حصل المجلس على مطحنة أخرى باستطاعة 30 طناً يومياً، مقدمة من المنتدى السوري للأعمال، ركّبها المجلس في الصوامع، واستولى عليها التنظيم بعد ذلك، كما استولى على الفرن الآلي الذي جهّزه المجلس في بداية 2014 وشغّله، ويصل إنتاجه إلى 17 طناً يومياً.

تعمل اليوم في معدان ثلاثة أفران بطاقة كاملة تغطي حاجة السكان من الخبز، اثنان منها يشغّلهما التنظيم. وينقل ناشط مدني من معدان أن الأهالي يشتكون من سوء الرغيف، ويضيف «إنها مسألة تتعلق بالجانب الفني في التحضير». ويسهم مندوبون من الأفران بإيصال الخبز إلى البيوت لمشتركين لقاء أجر. ويبلغ سعر ثلاثة أرغفة 200 ليرة، أي ما يعادل 40 سنتاً أميركياً.

## الصحة

حين وصل القتال إلى المنطقة في نهاية 2012 كان مشفى معدان قيد الإنشاء. وقبله لم تعرف المنطقة الشرقية على يمين النهر، من الحدود الإدارية مع دير الزور حتى مدينة الرقة، أي مشفى، رغم أن عدد سكانها كان قد تجاوز 100 ألف نسمة، بحسب تقديرات، بينما توجد فيها مراكز صحية، في بلدة معدان أحدها. ومنذ تسلم المجلس المحلي أمور البلدة صار فيها مشفى ميداني بسيط، زودته منظمة ميديكال ريليف Medical Relief for Syria، مع المركز، برواتب الأطباء والممرضين والأدوية.

منذ سيطرتها على المنطقة تسيّر داعش هذه المراكز عبر «ديوان الصحة»، الذي حوّل مدرسة إلى مشفى أصدر التنظيم قراره بإلزام الأطباء والممرضين بالمناوبة فيه يوماً في الأسبوع، أسوة بباقي مشافي المناطق التي يسيطر عليها، وذلك بعد التسرب المستمر للكوادر الطبية. وبحسب أحد أطباء معدان، فإن المشفى إسعافي، ولا يستطيع إجراء عمليات جراحية نوعية أو معقدة، لكنه يحوي جهاز تصوير شعاعي ومخبراً للتحليل وجهاز إيكو وجهاز غسيل كلى وجهاز تخطيط قلب، ويوفر المعالجة الفيزيائية، وفيه عيادات داخلية وأطفال ونسائية. لكن العيادة الأخيرة لا تعمل إلا بصعوبة، بحسب ما ينقل الأهالي، بسبب القيود على أطباء النسائية الرجال، الذين يستشارون في الولادات من القابلة القانونية التي تتولى أمور التوليد.

لا تستثنى المراكز الصحية والمشفى من القصف. وتعد إجراءات السفر إلى خارج المنطقة للعلاج صعبة ومكلفة. ورغم نقص الأدوية ومنع عمل المنظمات العاملة في المجال الصحي، إلا أن وجود خمس عيادات خاصة وعيادتين سنيتين، إلى جانب المشفى،

ساعد في تقديم خدمة أفضل نسبياً للمرضى. على أنه لا تُقدَّم لمن لديهم إصابات بالعظام إلا جبائر بسيطة، ويُلجأ إلى العلاج بالبتر في حالات الكسور المفتوحة، لعدم وجود غرفة عمليات، كما يفيد أحد الأطباء.

## أسواق معدان والوضع المعاشي

يتذكر كبار السن أن سوق الخميس، الأقدم والأكبر في المنطقة، كان بالأساس ماگف (سوق ماشية) ينعقد وسط معدان كل يوم جمعة حتى بداية السبعينيات. ثم نقل مكانه بعدها إلى جنوبي البلدة، حيث يتوافد إليه من البادية الكثير من مرتاديه، إلى جانب أهالي الخط الشرقي. ومنذ بداية التسعينيات تحوّل يوم انعقاده إلى الخميس حرصاً على صلاة الجمعة. ويؤثر السوق الأسبوعي بشكل كبير على سوق معدان الدائم، الذي يقدره البعض بـ300 محل تتجاور في صفين متقابلين على جانبي طريق حلب دير الزور المار من البلدة، لعل أهمها محلات خدمة وتصليح السيارات والمحركات والمكنات الزراعية. بينما صار سوق الخميس ينشط بتداول السيارات العراقية التي يضطر أصحابها إلى بيعها فيه لمتابعة طريقهم إلى تركيا.

يتعامل مرتادو السوق بالعملة السورية أو بالعملة الصعبة أو بالعملة التي أصدرها التنظيم، الذي لفت السوق إعلامه المصور وجُباته من «ديوان الزكاة» الذين لا يستثنون أي بائع مهما كانت بضاعته بسيطة من ضرائبهم، وعاملين في مكتب الخدمات أو مكتب الرقابة والتفتيش، لمراقبة النظافة وعمليات الغش.

وبحسب ناشط مدني من معدان، «يستطيع بعض سكان البلدة الاكتفاء معاشياً من الموارد المحلية، ولكن هؤلاء نسبة قليلة». ويضيف أحد السكان أن «الوضع صعب جداً، لقلة الموارد وعدم وجود فرص عمل عدا بعض المهن الرائجة والوظائف الخدمية لدى التنظيم. الأسر التي ليس لها معيل في الخارج قد تضطر إلى التسول».

يتوجه أبناء معدان للعمل في الخارج، خاصة في لبنان والسعودية. ويعتمد ذووهم على الحوالات التي يرسلونها، بالإضافة إلى ما يحصلون عليه من «ديوان الزكاة» التابع لداعش. ويقدّر البعض أن عائلة تتألف من خمسة أفراد بحاجة إلى 75 ألف ليرة في الشهر، أي ما يعادل 150 دولاراً تقريباً. على أن عينة من أسعار المواد الأساسية تظهر الاستقرار النسبي الذي مازال يتمتع به سوق معدان:

الأسعار بالليرة السورية/ 1 كيلوغرام: (450 سكر، 200 خيار، 400 بندورة، 200 بطاطا، 100 لبن، 200 رز)، (45 سعر البيضة الواحدة).

## التعليم

في عام 2012 وصل عدد المعلمين على قوائم مجمع معدان التوجيهي إلى حوالي 1000، يتوزعون على مدارس الناحية التي أصبحت مأوى للنازحين من دير الزور منتصف 2012، وطال بعضها قصف النظام، ثم أعاد المجلس افتتاحها لاستقبال الطلاب بعد أن أخرج النازحين منها. وظلت على هذه الحال حتى نهاية العام الدراسي 2014، حين أوقف «ديوان التعليم» التابع لداعش العمل بالمناهج الدراسية القديمة وسرّح المعلمين، ثم عاد وأخضعهم لدورات استتابة خاصة، ومنعهم من الاتصال بمديريات التربية التابعة للنظام، وقصر عملية التعليم تدريجياً على حفظ القرآن والحديث، وعلى مناهج شرعية خاصة به ومكرسة لتعزيز رؤيته، في الجوامع غالباً، بينما استعمل أبنية المدارس لأغراض أخرى.

## الاتصالات

بالتوازي مع ذلك أكمل التنظيم إغلاق المناطق التي يسيطر عليها على سكانها وقطعهم عن العالم الخارجي. فبعد أن منع أجهزة الاستقبال الفضائي (الدشات)، ووضع الغرامات والعقوبات على المخالفين، أكمل عملية تقنين استعمال الإنترنت الفضائي بمراقبتها والإشراف المباشر عليها، بدءاً بالرخص التي يمنحها لأصحاب صالات الإنترنت وانتهاء بمراقبة الزبائن. ولم يبق اليوم في البلدة، بحسب ما ينقل ناشط مدني، سوى ثلاث صالات، إلى جانب بعض الأجهزة المرخصة لتجار وصرافين. كما خرجت الاتصالات الأرضية عن الخدمة في الفترة الأخيرة لانقطاع الكابل الرئيسي بسبب الحرب.

## الانتظار واللجوء والهروب

ما زالت الطريق من معدان باتجاه دير الزور شرقاً وغرباً حتى السبخة، سالكة. وبعد تدمير جسر المغلة، في الشهر الثاني من هذا العام، لم تعد الطريق متاحة إلى الضفة المقابلة في قرية الحوس، الواقعة تحت سيطرة قسد، إلا بالسر، وعن طريق السفن النهرية التي تتراوح تكاليف الركوب فيها بين 35 ألف ليرة و500 ألفاً. ويقطع البعض النهر سباحة، كما يقول أحد من خاضوا تلك التجربة. وعدا ذلك لا تشكل المواصلات البرية عقبة كبيرة من الناحية المادية لتوافر المحروقات المحلية.

تشكل معدان اليوم محطة للعراقيين قبل أن يتابعوا طريقهم تهريباً باتجاه اعزاز، ثم إدلب فتركيا. ويستقر فيها قسم منهم ممن تقطعت بهم السبل أو يلتمسون فيها استراحة مؤقتة، وسط ترحيب أهلي، كما ينقل عراقيون. كما يلجأ إلى معدان هاربون من الطبقة والمنصورة والرقة. ويروي سكان مخيم، أقيم في معدان لخمسين عائلة، عن أهوال ما شاهدوه من ممارسات النظام وميليشياته قبل أن يهربوا من غرب الطبقة.

يعيش كل هؤلاء مع سكان معدان حالة من الاضطراب والقلق، كما يقول ناشط مدني، ليضيف آخر أنهم بسطاء، لا يبحثون إلا عن الخبز والعمل والمسكن.

# مات مصطفى طلاس

**لم يكن موت مصطفى طلاس خبراً عادياً أو تافهاً بالنسبة للسوريين، بخلاف الرجل نفسه. فقد أثار كماً من اللغط لا يستحقه وزير الدفاع المزمن لنظام الأسد، المغرم بالنساء والأزهار وفن الطبخ والشعر العربي الكلاسيكي.**

بكر صدقي

لعل وضعه -وأسرته- الإشكالي في سنوات الثورة هو ما أضفى على موته «السريري» هذه الأهمية. فمعروف أن نجلاه، فراس ومناف، قد انشقا عن النظام، في مرحلة معينة من الثورة، وباتا ناشطين، كل بطريقته، في فعالياتها، شأنهما في ذلك شأن عديد من رجال السلطة ممن انشقوا قبلهما وبعدهما، وأبرزهم رياض حجاب الذي يرأس الآن أهم أطر المعارضة الرسمية للنظام «الهيئة العليا للمفاوضات».

لم «يحظ» رجل سلطة في تاريخ سوريا الحديث بكم الشتائم والإذلال الذي تعرض له «أبو فراس»، على مواقع التواصل الاجتماعي، في أعقاب إعلان وفاته، الأمر الذي شمل، بطبيعة الحال، ولديه وكل من واساهما بموت أبيهما. فقد حوكم الرجل، بعد موته، بجميع المعاني التي يمكن أن تخطر على بال: قانونياً وسياسياً وأخلاقياً، وحكم عليه بالإدانة المشددة في قبره.

الواقع أن النظام هو من حوكم في شخص الميت، بحكم كون الأخير من أركانه الثابتة على مدى أكثر من ثلاثة عقود، على رغم الإجماع بأنه كان شخصاً هامشياً لا يملك سلطة القرار، أو ربما بسبب ذلك بالنسبة للبعض الذي اعتبر أنه ساهم في تمويه طائفية النظام. غير أن هامشيته لم تغفر له كما غفرت لغيره من رجال النظام ممن انشقوا عنه إبان الثورة، بسبب مسؤوليته المباشرة عن إعدامات سجن تدمر التي اعترف بها في إحدى مقابلاته، والفساد الاستثنائي الذي أتيح له من موقعه كوزير دفاع مقرب من حافظ الأسد، إضافة إلى أنه لم يعلن انشقاقه قط عن النظام قبل وفاته، مما كان يمكن أن يخفف من الاحتقان العام ضده.

للمقارنة يمكن أن نذكر حالة فاروق الشرع المنقطعة أخباره منذ سنوات: يتقاطع هذا مع العماد طلاس في كثير من الأمور، باستثناء التفاهة الملتصقة بطلاس. وهو مغيب حالياً، وما زال مصيره مفتوحاً. أظهر شيئاً من التمايز برأيه في طريقة مواجهة النظام الدموية للثورة، لكنه لم يهرب أو ينشق، أو ربما تعذر عليه القيام بذلك. لكن الثابت، بصرف النظر عما يمكن أن ينتهي إليه لاحقاً، هو أنه من الوجوه المقبولة نسبياً في النظام. وذلك بخلاف عبد الحليم خدام، مثلاً، على رغم انشقاقه المبكر عن النظام، أيام لجنة التحقيق الدولية في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري. وذلك بسبب فساده وارتباط اسمه بصفقة دفن النفايات النووية في الصحراء السورية.

القصد من هذه المقارنات أن موقف الرأي العام الثوري من رموز النظام الساقط متفاوت يقبل التمايزات ويخضع لاعتبارات متنوعة سياسية وأخلاقية وغيرها، سواء تعلق الأمر بشخصية منشقة أو لا، وبصرف النظر عن هويته الطائفية، على رغم دور العامل الطائفي والوعي الطائفي الذي لا يستهان به في الوقائع السورية وانعكاساتها في تشكيل الرأي العام. إنه لخبر جيد أن الانتماء السني للعماد طلاس لم يمنحه أسباباً مخففة في الحكم عليه، شأنه في ذلك شأن خدام مثلاً. ولا غفر انشقاق هذا الأخير له مقابل عدم انشقاق طلاس بصورة معلنة.

جوهر الحملة على طلاس بمناسبة وفاته، قائمة، في رأيي، على أساس حاجة السوريين إلى العدالة. العدالة التي ضن بها العالم عليهم طوال السنوات السبع المنقضية من المأساة السورية، ولا يبدو، إلى الآن، أن السماء أكثر سخاء معهم منه. والحال أن العدالة، أو ما يسمى بالعدالة الانتقالية، هي شرط شارط ليتعافى الجسد السوري المثخن بالجراح، إن كان له حظ بعد في التعافي.

# لعنة السوريين

أحمد عيشة

أعياد كثيرة مرت على السوريين ومعظم العائلات، إن لم تكن كلها، لم تعد تجتمع بعد أن توزعت على أراض كثيرة، ناهيك عن الموت أو الاعتقال اللذين طالا الكثيرين.

بعد غياب عامين قررنا الذهاب لرؤية من تبقى من العائلة. ما نسمعه عن سوء المعاملة من جانب عناصر الحدود والمعابر جعل أحدنا يشبّه رحلة العبور بلحظة الاعتقال، عند مجيء وحوش الأمن في ساعات متأخرة من الليل، أو في الصباح الباكر، وحشرك في السيارة الصغيرة بين اثنين منهم، يجلس كل منهما على جزء من جسمك الذي يبدأ في الشحوب، ويطلقون عليك لقب الطريدة رقم «كذا» في الطريق نحو مراكز التحقيق والموت.

بناء على نصيحة من سبقونا بالذهاب إلى المعبر باكراً في ليلة السفر، كان علينا أن نتحمل ساعات الليل الباردة بانتظار الصباح وبدء الدوام الرسمي للموظفين، عندما ستبدأ رحلة الفرج. ومع مرور الوقت وبزوغ الصباح، وزيادة لهيب الشمس التي تحرق الوجوه والأجساد، وخاصة الأطفال الذين يرفعهم أهاليهم إلى الأعلى خشية التدافع الذي يشابه لحظات القيامة؛ تبيّن أن ما كنا نتحدث فيه الليلة الماضية من صور مرعبة للحظات الاعتقال والتحقيق في مراكز المخابرات لم يكن مبالغة في التعبير عما يحيط بنا.

الآلاف محصورون في رقعة لا تتجاوز مئات الأمتار المربعة، ومن كافة الفئات: رجال ونساء، كبار وصغار، من عمر الأشهر حتى التسعين عاماً، في مكان مليء بالأوساخ وبقايا من سبقنا بالعبور، يحيط بنا بعض رجال الأمن، بلباسهم الأسود وعصيّهم/هراواتهم التي كثيراً ما يستخدمونها لترتيب أو لضب ذلك التزاحم البشري.

الحركة هنا تدافعية. لا تتقدم في الساعة إلا سنتيمترات قليلة أو مجرد زحزحة للأقدام، وسط صيحات من خلفك ومن حولك بالتزام الدور، صيحات تعبّر عن الغضب والاحتجاج على عدم التقدم نحو البوابة. وكثيراً ما يفضي الأمر إلى شجار بين الشباب، غالباً ما يكون عنيفاً وينتهي بتدخل البوليس بضرباتهم المؤلمة التي تشي بشيء من اللؤم والكراهية.

يزداد غضب البشر مع تزايد الحر إلى درجة الحريق، ونتيجة تناقل الأخبار الواردة من الواقفين في الصفوف الأولى عن عبور بعض الشباب والعائلات بطرق ملتوية، ويتزايد هذا الكلام عندما تعرف وتسمع أن عملية الإدخال إلى البوابة تتم بالرشاوى.

بدا لي أن القصد من كل ذلك واضح. هناك نية لإهانة السوريين بتجميعهم ضمن أقفاص تشبه أقفاص الدجاج بحيث تسهل محاصرتهم والتحكم في حركاتهم، وخاصة مع ذلك الجو الخانق الذي يشوي أجساد الأطفال قبل الكبار.

في تلك اللحظة ناداني أحد من رافقنا في الرحلة حتى الآن، قبل أن يقرر الانسحاب من بين ذلك الحشد والعودة، وقال لي: هل كنا محقين في حديثنا عن الطريدة رقم كذا وتحولنا كلنا إلى طرائد ولكن دون أرقام؟

مع اقتراب الدوام من نهايته، وبعد أن أدخلوا ما يكفي من الناس بوسائلهم الخاصة، قرروا إنهاء المهزلة التي صنعوها وإدخال كل الحشود مباشرة.

لم يستغرق الأمر أكثر من نصف ساعة فقط، هو الزمن الكافي للتخلص من كل ذلك الزحام.

تأتي بعدئذ إجراءات التدقيق الإلكتروني، وهو وصف أكبر بكثير مما جرى. اصطفافات جديدة وهراوات أيضاً. لتنتقل من مكان مسقوف يشبه البيوت البلاستيكية ولكن بغطاء قماشي، حتى تصل أخيراً إلى غرفة تحصل فيها على بطاقة مؤلفة من جزئين يحملان الرقم نفسه، تثبت بطاقة التعريف المؤقتة «كيمليك» على أحدهما، ليبقى أمامك المكتب الأخير الذي يمهر الختم الخاص بالبوابة-المعبر، وتنتهي الرحلة لتصل إلى الطرف الذي تشتاق إليه.

هناك ترى وتسمع الناس يتوجهون إلى أماكن مختلفة من سورية؛ محررة أو خاضعة لقوات درع الفرات أو لسيطرة النظام. أما في مناطق «قسد» فتلك قصة أخرى، إذ يحتاج الحصول على إذن للدخول إلى الكثير من الوقت والتدقيق حتى إن كنت من أهالي القرية نفسها.

كانت الشتائم واللعنات أقل هنا في الوطن، لكن السوريين لم يحرموا منها وكأنها ظل مرافق لمأساتهم، أو عقاب على مطالبتهم بحقوقهم ورغبتهم في التحرر من كل الطغاة صغاراً وكباراً.

طالما بقينا موزعين، طواعية أو عنوة، بين ولاءات مختلفة غير الولاء للوطن، تنخر فينا الفوضى والولاء للآخرين، أياً كانوا، ستبقى اللعنة تلاحقنا في منافينا وفي ما تبقى من وطن!

# حتى في الشرق الأوسط، معظم الإرهاب ليس إسلامياً

آلان غابون*
موقع Middle East Eye
19 حزيران
ترجمة مأمون حلبي

**اسأل معظم الناس: من ارتكب أسوأ الهجمات الإرهابية في أوروبا في العقود الأخيرة؟ على الأرجح سيقولون إنهم المسلمون. لكنهم مخطئون في هذا الجواب.**

كثيراً ما يتم تصوير الإسلامية والإرهاب ككلمتين مترادفتين في وقتنا هذا، لكن تحليلاً للأعمال الإرهابية التي ترتكب في شتى أنحاء العالم يُبيّن أن معظم هذه الأعمال ليست ناتجة عن مسلمين يتصرفون باسم إيمانهم. وعلى عكس التصورات الشائعة والتصريحات السياسية والتغطية الإعلامية، فإن فكرة أن معظم الإرهاب (يعرّف الإرهاب بأنه استخدام، أو التهديد باستخدام، العنف ضد المدنيين وغير المقاتلين لأسباب سياسية أو دينية أو اجتماعية لا شخصية) يتسبب به مسلمون يتصرفون باسم إيمانهم هي ببساطة فكرة خاطئة.

وبالعودة إلى الأبحاث الأكاديمية وصحافة التحقيقات والإحصاءات الرسمية الصادرة عن منظمات مثل مكتب التحقيقات الفيدرالي واليوروبول يتبيّن لنا أنه في المجتمعات الغربية تُرتكب نسبة بسيطة فقط من الهجمات الإرهابية من قبل إسلاميين أو جهاديين أو تشكيلات مشابهة. فرنسا هي البلد الغربي الوحيد الذي تأثر جدياً من هذه الظاهرة، أما في العالم الغربي عدا فرنسا -الذي يشتمل على 38 بلداً بعدد سكان إجمالي يبلغ مليار إنسان تقريباً- فقد بلغ عدد ضحايا الجهادية حوالي 450 شخصاً منذ 11 أيلول 2001، بما في ذلك ضحايا هجمات مانشستر الشهر الماضي.

## ما الذي تقوله الأرقام

بين عامي 1980 و2005، نسبة 6% من الهجمات الإرهابية في الولايات المتحدة ارتكبها إسلاميون، في حين أن أكثر من 90% ارتكبتها جماعات أخرى: إسبان، مسيحيون، يهود، ناشطو اليسار المتطرف، ناشطون بيئيون، أنصار سيادة العرق الأبيض المنتمون إلى اليمين المتطرف، الجماعات المعادية لوجود الحكومات، الجماعات المعادية للإجهاض، انفصاليو إقليم كيوبك، وغيرهم. ينطبق هذا الأمر على عدد الهجمات (سواء أكانت ناجحة أم لا) وعلى عدد الإرهابيين، كما يُلاحَظ بوضوح إن كلف المرء نفسه عناء الاطلاع على الإحصاءات السنوية والشاملة بلداً بلداً، الصادرة عن قاعدة البيانات المتعلقة بالإرهاب على مستوى العالم والموجودة في جامعة ماريلاند. وعلى غرار ذلك، فإن نسبة الأحداث الإرهابية الإسلامية من 1970 حتى 2017 في أوروبا الغربية تبدو ضئيلة للغاية. ويبقى هذا الأمر صحيحاً عندما يتعلق بعدد الضحايا: منذ عام 2006، بالرغم من أنها كانت فترة صعود الجهادية، سقط معظم الضحايا الغربيين لا على يد المسلمين وإنما على يد أنماط أخرى من الجماعات الإرهابية. السنوات التي كان فيها الإرهاب المُلهَم «إسلامياً» سبباً في مقتل الضحايا في البلدان الأوروبية كانت قليلة: منذ 1970 وحتى 2017 تجاوز الإرهاب «الإسلامي» الأشكال الأخرى لخمس سنوات فقط.

## ذاكرة انتقائية

يستطيع أي شخص أن يتحقق من نتيجة التشويش الذهني الذي تفرضه علينا وسائل الإعلام والعالم السياسي منذ سنوات. ببساطة، اسأل أي شخص: من ارتكب أسوأ هجوم إرهابي في السنوات العشر أو العشرين الأخيرة في أوروبا؟ تقريباً دائماً سيأتيك الرد الكلاسيكي: «لا أعرف بالضبط، لكن لا بد أنهم الجهاديون».

في الحقيقة، يبدو أن العمل الإرهابي الأكثر فتكاً الذي ارتكب في أوروبا لم يقم به مسلمون. لقد كان هذا العمل الأفظع هو تدمير رحلة جوية للخطوط الماليزية بواسطة صاروخ روسي فوق منطقة أوكرانية تسيطر عليها قوات انفصالية مدعومة من روسيا في أجواء حرب أهلية في 17 تموز 2014، ما أدى إلى مقتل قرابة 300 راكب وطاقم الطائرة. هذا ما حدث، ويا للغرابة، قام السياسيون ووسائل الإعلام والسكان بالمسارعة فوراً إلى نسيانه. حصل هذا الهجوم قبل أقل من 3 سنوات، في وقت كان فيه تركيز وسائل الإعلام على تلك المنطقة. من ناحية أخرى، يتذكر الجميع هجوم ماراثون بوسطن في 2013 مع أنه أبعد زمنياً، وبضحاياه الثلاثة كان أقل فتكاً بكثير. الذاكرة الانتقائية بشكل غريب يمكن تفسيرها بوضوح بحقيقة أن هجوم بوسطن ارتكبه مسلمان، بخلاف إسقاط الطائرة الماليزية، لذا سرعان ما تمّ إبعاد حدث الطائرة عن ذاكرتنا، مع أنه يبقى أسوأ عمل إرهابي ارتكب في أوروبا منذ هجمات 11 أيلول في الولايات المتحدة. لكن لا أحد يتحدث عن ذلك ولا أحد يتذكره.

* رئيس قسم اللغة الفرنسية في جامعة ويسليان في فيرجينيا.

# سَجِّل عقد زواجك
# للحفاظ على نسب أطفالك

سَجِّل

صفحة **سجل** على فيس بوك

facebook.com/SajjelSYR

مديرية الشؤون المدنية بحلب

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 0969831305 WhatsApp


مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina

/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

# سَجِّل

## سَجِّلي واقعة الطلاق
للحفاظ على حقوقك وحقوق أطفالك

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 0969831305 WhatsApp

مديرية الشؤون المدنية بحلب

صفحة **سجل** على فيس بوك
facebook.com/SajjelSYR

# سَجِّل

## سَجِّلي واقعة الطلاق
للحفاظ على حقوقك وحقوق أطفالك

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 0969831305 WhatsApp

مديرية الشؤون المدنية بحلب

صفحة **سجل** على فيس بوك
facebook.com/SajjelSYR